

رسالة في إيمان أبي طالب



آية الله العظمى السيد رضا حسيني نسب



المقدمة

أبو طالب ابن عبد المطلب ، و والد أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وعمّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) ، هو من المؤمنين برسول الله (صلى الله عليه وآله) ورسالته الخالدة ، وكان عوناً له في جميع الشدائد والمشاكل والمعضلات التي واجهته في صدر الإسلام.

اسمه أبو طالب، عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف الهاشمي القرشي. ولد قبل ولادة النبيّ (صلى الله عليه وآله) بخمس وثلاثين سنة. أمّه فاطمة بنت عمرو بن عابد بن عمران. زوجته كانت فاطمة بنت أسد. و أولاده من الذكور: طالب، و عقيل، و جعفر، و علي؛ و من الإناث: أمّ هاني ، و جمانة.

توفي أبوطالب في اليوم السابع من شهر رمضان ، العام العاشر للبعثة النبوية الشريفة.

الهدف من وضع هذه الرسالة هو بيان بُعد من أبعاد شخصية
هذا المجاهد في سبيل الله و الذابّ عن حرم رسول الله
(صلّى الله عليه و آله و سلّم)، و هو إيمانه بالله عزّ و جلّ، و
بالرسالة الخالدة المحمّديّة.

عائلة أبي طالب

ولد أبو طالب في بيت البطل المحامي عن التوحيد الإبراهيمي عبد المطلب (رضي الله عنه).

وبأدنى تحقيق في تاريخ الجزيرة العربية يرى المتتبع أنّ عبد المطلب حامى عن التوحيد الإبراهيمي في أشد الظروف ، وأصعب الأيام ، وأخطر المواقف.

فعندما توجه أبرهة بجيشه العظيم وفيلته نحو مكة المعظمة قاصداً هدم الكعبة ، أغار في طريقه على إبل لعبد المطلب وأخذها ، فلما بلغ ذلك عبد المطلب ، أتاه واستأذن عليه ، وسأله إطلاق إبله.

فتعجب أبرهة من طلب عبد المطلب وقال : «هذا رئيس قوم وزعيمهم جئت إلى بيته الذي يعبد لأهدمه ، وهو يسألني إطلاق إبله ! أما لو سألني الإمساك عن هدمه لفعلت ، ردوا عليه إبله» .

فقال عبد المطلب لترجمانه : ما قال لك الملك ؟ فأخبره ،

فقال عبد المطلب :

«أنا ربّ الإبل ، ولهذا البيت ربّ يمنعهُ»⁽¹⁾ .

ثمّ انصرف إلى قريش فأخبرهم الخبر ، وأخذ بحلقة باب

الكعبة الشريفة قائلاً :

يا ربّ لا أرجو لهم سواكا

يا ربّ فامنع منهم حماكا

إنّ عدوّ البيت من عاداكا

إمنعهم ان يخربوا فناكا⁽²⁾

فهذه الكلمات وأمثالها دليل واضح على توحيدهِ لله سبحانه

وتعالى ، وإيمانه به تقدّست أسماؤه ، وثباته عليه .

ولأجل هذا يقول اليعقوبي في تأريخه في شأن عبد

المطلب :

(1) الكامل لابن الأثير ، ج 1 ، ص 261 .

(2) المصدر السابق .

«رفض عبادة الأصنام ، ووحد الله عزوجل»⁽³⁾.

ولنلاحظ الآن ما كان يجول في ذهن هذا الأب حول ابنه أبي طالب.

(3) تاريخ اليعقوبي ، ج 2 ، ص 7 (طبع النجف) .

أبو طالب في نظرة عبد المطلب

يعلم بوضوح من خلال مراجعة طيّات كتب التاريخ أنّ بعض المتنبّئين أخبر عبد المطلب بمستقبل حفيده محمد (صلى الله عليه وآله) الزاهر ، كما أخبروه بنبوته .

فعندما استولى «سيف بن ذي يزن» على حكومة الحبشة وذلك بعد مولد النبي (صلى الله عليه وآله) بسنتين أتاه وفد العرب وأشرفها وشعراؤها بالتهنئة والمدح وذكر ما كان من بلائه وطلبه بثأر قومه ، فأتاه وفد من قريش ومعهم عبد المطلب بن هاشم واناس من وجوه قريش فقدموا عليه صنعاء ، فاستأذنوا عليه ، فأذن لهم ، فلما دخلوا عليه دنا عبد المطلب منه وتكلّم بكلام بليغ ، فبشّره أمير الحبشة بأنه سيبعث قريباً نبيّ عظيم الشأن من أهلك وعشيرتك ، وأنّه سينشأ في بيتك ، ثمّ شرع في بيان صفاته وأوصافه

فقال :

«اسمه محمد ، يموت أبوه وأمه ، ويكفله جدّه وعمّه»⁽⁴⁾ .

إلى أن يقول في بيان صفات النبيّ(صلى الله عليه وآله) :

«يعبد الرحمن ، ويدحض الشيطان ، ويخمد النيران ، ويكسر الأوثان ، قوله فصل ، وحكمه عدل ، يأمر بالمعروف ويفعله ، وينهى عن المنكر ويبطله»⁽⁵⁾ .

ثم قال لعبد المطلب :

«إنّك لجدّه يا عبد المطلب غير كذب»⁽⁶⁾ .

فلما سمع عبد المطلب هذه البشارة في حق حفيده سجد لله شكراً ، وقال في بيان حال هذا الولد الميمون :

«نعم أيّها الملك ، إنّه كان لي ابن ، وكنت به معجباً ، وعليه رقيقاً ، فزوّجته كريمة من كرائم قومي ; أمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ، فجاءت بغلام سمّيته محمداً ، مات أبوه

(4) السيرة الحليّة ، ج 1 ، ص 136 و 137 (طبع مصر) .

(5) المصدر السابق .

(6) المصدر السابق .

وأمه ، وكفلته أنا وعمّه ، بين كنفه شامة ، وفيه كلّ ما
ذكرت من علامة»⁽⁷⁾ .

فمن خلال هذا الكلام يتضح أنّ عبد المطلب كان مطلعاً
على مستقبل ابنه وحفيده ، ولهذا لم يتركه بعد وفاته
هكذا ، بل تصدّى لتعيين كفيل له يكفله ويربّيه بعد مماته ،
فكفّله خير أولاده أبا طالب .

و بناءً على ما شرحنا، تتبيّن منزلة أبي طالب عند أبيه
الموحّد عبد المطلب ، وأنّه كان ينظر لولده أبي طالب نظرة
إجلال ، وأنّه بمرتبة من الإيمان والصلاح بحيث أنّه كان يراه
لائقاً لكفالة نبيّ كريم⁽⁸⁾ .

وإليك فيما يلي الأدلّة الواضحة على إيمان أبي طالب.

(7) المصدر السابق .

(8) لتفصيل وإيضاح ما ذكرناه بشكل أكثر راجع السيرة الحليّة ، ج 1 ، ص 134
(طبع مصر) . والسيرة النبوية لابن هشام ، ج 1 ، ص 189 . وكتاب «أبو طالب
مؤمن قريش» ص 109 (طبع بيروت) . والطبقات الكبرى ج 1 ، ص 117
(طبع بيروت) .

أدلة إيمان أبي طالب

استدلّ علماء التاريخ و الحديث على إيمان أبي طالب بأدلة كثيرة و نحن نذكر ههنا بعضا منها على سبيل المثال:

الدليل الأول - الآثار العلميّة والأدبيّة لأبي طالب

نقل العلماء والمؤرّخون الإسلاميون قصائد رائعة عن أبي طالب ، يمكن أن يتوصّل من خلالها ومما حوّته في ثناياها إلى إيمان أبي طالب ، ونحن نكتفي بذكر بعضها :

ليعلم خيار الناس أنّ محمداً

نبيّ كموسى والمسيح ابن مريم

أنا بهدي مثل ما قد أتيا به

فكلّ بأمر الله بهدي و يعصم⁽⁹⁾

وقال أيضاً :

(9) الحجة ، ص 57 . ونحوه في المستدرک على الصحيحين ، ج 2 ، ص 623 .

ألم تعلموا أنّا وجدنا محمداً
رسولاً كموسى خط في أول الكتب
و أنّ عليه في العباد محبة
ولا حيف فيمن خصّه الله بالحب⁽¹⁰⁾

وقال أيضاً :

لقد أكرم الله النبيّ محمداً
فأكرم خلق الله في الناس أحمد
و شقّ له من اسمه ليُجلّه
فدو العرش محمودٌ وهذا محمد⁽¹¹⁾

وقال أيضاً :

والله لن يصلوا اليك بجمعهم
حتّى أوسد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة
و ابشر بذاك و قرّ منك عيوننا

(10) تاريخ ابن كثير ، ج 1 ، ص 42 . شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، ج 14 ، ص 72 .

(11) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، ج 14 ، ص 78 . تاريخ ابن عسّاك ، ج 1 ، ص 275 ، تاريخ ابن كثير ، ج 1 ، ص 266 . تاريخ الخميس ، ج 1 ، ص 254 .

ودعوتني وعلمت أنّك ناصحي
ولقد دعوت و كنت ثمّ أميناً
ولقد علمت بأن دين محمد
من خير أديان البرية ديناً⁽¹²⁾

وقال أيضاً :

يا شاهد الله عليّ فاشهد
أنّي على دين النبيّ أحمد
من شكّ في الله فإنّي مهتد

وقال في آخر أيامه موصياً وجوه قريش بالدفاع عن النبيّ
(صلى الله عليه وآله) :

أوصي بنصر نبيّ الخير أربعة
إبني علياً وشيخ القوم عباساً
وحمزة الأسد الحامي حقيقته
وجعفرأ أن تذودا دونه الناسا

(12) خزنة الأدب ، ج 1 ، ص 261 . تاريخ ابن كثير ، ج 3 ، ص 42 . شرح
نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، ج 14 ، ص 55 . فتح الباري ، ج 7 ، ص 153
— 155 . الإصابة ، ج 14 ، ص 116 . ديوان أبي طالب ، ص 12 .

كونوا فداء لكم أُمي و ما ولدت

في نصر أحمد دون الناس أتراسا⁽¹³⁾

فكلّ منصف إذا ما شاهد هذه الآثار والأبيات الشعرية التي تفصح عن عقيدة قائلها بصراحة تامّة ، يتبيّن له صحّة ما تعتقد به الشيعة من إيمان أبي طالب ، ويتأسف ويتألّم للتّهم الباطلة والعارية عن الأساس التي وجهها بعض الكتّاب بدوافع سياسيّة لمؤمن قريش وعم النبيّ(صلى الله عليه وآله) الذي نصره أوائل البعثة في أشدّ الأحوال ، وعند قلّة الناصر والمعين .

الدليل الثاني - سيرة أبي طالب مع النبيّ (ص) دليل على

إيمانه

نقل جميع المؤرخين الإسلاميين مواقف دفاع أبي طالب عن النبيّ(صلى الله عليه وآله) والتي لا نرى لها نظيراً في التاريخ الإسلامي ، وهي أدلّة واضحة على رسوخ عقيدته

(13) متشابهات القرآن (ذيل تفسير الآية (وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ) . الغدير ، ج

الصحيحة في النبيّ(صلى الله عليه وآله) . فتحملّ أبو طالب
عناء المحاصرة والتشريد والعيش في شعب أبي طالب مدة
ثلاث سنين ، ورجح العيش إلى جانب النبيّ(صلى الله عليه
وآله) في ذلك الشعب على رئاسة قريش ، وبقي مع
المسلمين في ذلك الشعب وتحملّ عناء تلك المصاعب إلى
أن تمّت المحاصرة الاقتصادية⁽¹⁴⁾ .

مضافاً إلى ما ذكر فإنّ أبا طالب حتّ ابنه عليّاً(عليه السلام)
على أن يتابع رسول الله(صلى الله عليه وآله) وأن يلازمه في
تمام تلك الأوقات والحالات الشديدة التي كانت تواجه
النبيّ(صلى الله عليه وآله) في صدر الإسلام .

فروى ابن أبي الحديد المعتزلي في شرحه على نهج
البلاغة أنّ أبا طالب قال لعليّ(عليه السلام) :
«يا بني ، إلزمه ، فإنّه لن يدعوك إلّا إلى خير»⁽¹⁵⁾ .

(14) للاطلاع أكثر راجع المصادر التالية : السيرة الحلبية ، ج 1 ، ص 134 . تاريخ
الخميس ، ج 1 ، ص 253 — 254 . السيرة النبوية لابن هشام ، ج 1 ، ص
189 . شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، ج 14 ، ص 52 . تاريخ يعقوبي ،
ج 2 . الإصابة ، ج 4 ، ص 115 . الطبقات الكبرى ، ج 1 ، ص 119 .
(15) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، ج 13 ، ص 272 .

فمن الواضح أنّ هذه الخدمات الجليلة من أبي طالب للنبيّ
(صلى الله عليه وآله) وتضحياته من أجله ومن أجل الإسلام
أبرز دليل على إيمانه .

ومن هنا أنشأ ابن أبي الحديد في بيان الدور المهم لأبي
طالب في الذبّ عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله :

و لو لا أبو طالب و ابنه

لما مثل الدين شخصاً فقاما

فذاك بمكة أوى و حامى

وهذا بيثرب جسّ الحماما

تكفل عبد مناف بأمر

وأودى فكان علي تماماً

فقل في ثبير مضى بعدما

قضى ما قضاه وأبغى شماما

فلله ذا فاتحاً للهدى

ولله ذا للمعالي ختما

وما ضرّ مجد أبي طالب

جهول لغا أو بصير تعامى

كما لا يضّرّ إياب الصباح

من ظن ضوء النهار الظلاماً⁽¹⁶⁾

الدليل الثالث - وصيّة أبي طالب دليل على إيمانه

نقل المؤرخون المسلمون كالحلبي الشافعي في سيرته ،
ومحمّد الدياربكري في تأريخ الخميس ، وغيرهما وصيّة أبي
طالب ، فعن الكلبي قال :

«لما حضرت أبا طالب الوفاة جمع إليه وجوه قريش،
فأوصاهم ، فقال: يا معشر قريش ، أنتم صفوة الله من خلقه،
وقلب العرب... وإني أوصيكم بمحمّد خيراً؛ فإنّه الأمين في
قريش، والصدّيق في العرب... دونكم يا معشر قريش ابن
أبيكم، كونوا له ولاة، ولحزبه حماة، والله لا يسلك أحد سبيله
إلّا رشد، ولا يأخذ أحد بهديه إلّا سعد، ولو كان لنفسي مدّة

(16) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، ج 14 ، ص 84 .

وفي أجلي تأخير لكففت عنه الهزاهز، ولدفعت عنه
الدواهي»⁽¹⁷⁾ .

الدليل الرابع - حبّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) لأبي طالب

شاهد على إيمانه

جلّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) عمّه أبا طالب في
مواقف عديدة ومشاهد مختلفة ، أسفر فيها عن حبّه لعمّه ،
إليك فيما يلي نموذجان منها :

أ - روى بعض المؤرخين أنّ النبيّ(صلى الله عليه وآله) قال
لعقيل بن أبي طالب :

«أنا أحبّك يا عقيل حبّين ؛ حبّاً لك وحبّاً لأبي طالب لأنه كان
يحبّك»⁽¹⁸⁾ .

ب - روى الحلبي عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) أنّه
قال في عمّه أبا طالب :

«ما نالت قريش منّي شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب» .⁽¹⁹⁾

(17) تاريخ الخميس ، ج 1 ، ص 300 . السيرة الحليّة ، ج 1 ، ص 391 . روضة
الواعظين للفتال النيسابوري ، ص 140 .

(18) تاريخ الخميس ، ج 1 ، ص 163 . الاستيعاب ، ج 2 ، ص 509 .

ومن الواضح أنّ حبّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) لأبي طالب وتجليه إياه دليل واضح على إيمانه ، فإنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) لا يحبّ إلاّ المؤمنين ، وأما الكفّار فهو غليظ شديد عليهم كما صرّح بذلك الذكر الحكيم بقوله عزّ من قائل :

(مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ)⁽²⁰⁾ .

وقال في موضع آخر :

(لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ)⁽²¹⁾ .

فمع الأخذ بنظر الاعتبار الآيات المذكورة وقرنها إلى حب النبيّ (صلى الله عليه وآله) لإبي طالب لا يبقى مجال

(19) السيرة الحليّة ، ج 1 ، 391 . الأعلام للزركلي ج 4 ، ص 166 . سبل

الهدى والرشاد ، ج 2 ، ص 435 .

(20) الفتح : 29 .

(21) المجادلة : 22 .

للتريد والشك في أنّ أبا طالب كان في مرتبة عالية من الإيمان .

الدليل الخامس - شهادة صحابة النبيّ (صلى الله عليه وآله)

على إيمان أبي طالب

شهد بإيمان أبي طالب جملة من الصحابة نذكر بعضهم فيما يلي :

أ - روي أنّ أمير المؤمنين(عليه السلام) كان جالساً في الرحبة والناس حوله ، فقام إليه رجل فقال له : يا أمير المؤمنين إنك بالمكان الذي أنزلك الله فيه وأبوك معذب في النار ! فقال له :

«مه ، فضّ الله فاك ، والذي بعث محمداً بالحقّ نبياً ، لو شفّع أبي في كلّ مذب على وجه الأرض لشفّعه الله تعالى فيهم»⁽²²⁾ .

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) في موضع آخر :

«كان والله أبو طالب عبد مناف بن عبد المطلب مؤمناً مسلماً يكتم إيمانه ، مخافة على بني هاشم أن تنايذاها قريش»⁽²³⁾ .

(22) الحجّة ، ص 24 . مئة منقبة لمحمد بن أحمد القمي ، ص 174 .

(23) وسائل الشيعة ، ج 11 ، ص 481 . الحجّة ، ص 24 .

فكلام الإمام هذا يدلّ على أنّ أبا طالب كان في درجة عالية من الإيمان ، بل كان من الأولياء الذين لهم الشفاعة للمذنبين .

ج - يقول الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري (رضي الله عنه) في حق أبي طالب :

«والله الذي لا إله إلاّ هو ما مات أبو طالب حتى أسلم»⁽²⁴⁾ .

د - روي بأسانيد كثيرة بعضها عن العباس بن عبد المطلب وبعضها عن أبي بكر بن أبي قحافة :

«إنّ أبا طالب ما مات حتى قال : لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله»⁽²⁵⁾ .

الدليل السادس - أبو طالب في نظرة أهل البيت (عليهم السلام)

صرّح جميع أئمة أهل البيت (عليهم السلام) بإيمان أبي طالب الراسخ ، ودافعوا في المناسبات المختلفة عن هذا

(24) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، ج 14 ، ص 71 . شرح الأخبار للقاضي

النعمان المغربي ، ج 2 ، ص 298 .

(25) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، ج 14 ، ص 71 . بحار الأنوار ، ج 35 ،

ص 158 .

المحامي الناصر لرسول الله(صلى الله عليه وآله) ، ونحن
نكتفي بذكر مثالين منها ، هما :

أ - قال الإمام محمد الباقر(عليه السلام) :

«لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق
في الكفة الأخرى لرجح إيمانه»⁽²⁶⁾ .

ب - روى إمامنا الصادق جعفر بن محمد عن جده رسول
الله(صلى الله عليه وآله) أنه قال :

«إن أصحاب الكهف أسروا الإيمان وأظهروا الكفر ، فاتاهم الله
أجرهم مرتين ، وإن أبا طالب أسر الإيمان وأظهر الشرك ، فاتاه
الله أجره مرتين»⁽²⁷⁾ .

فأتضح من خلال الأدلة المذكورة أن أبا طالب يتمتع
بالمقامات التالية :

- 1- إيمان قوي وراسخ بالله ورسوله (صلى الله عليه وآله) .
- 2- المؤازرة والنصرة للرسول الكريم(صلى الله عليه وآله) ،
والدفاع عنه في سبيل الإسلام .

(26) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، ج 14 ، ص 68 .

(27) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 14 ، ص 70 . الكافي ، ج 1 ، ص

448 ، ح 28 وفيه : «إن مثل أبي طالب مثل أصحاب الكهف ؛ أسروا الإيمان

وأظهروا الشرك فاتاهم الله أجرهم مرتين» .

3- حبّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) إياه .

4- له حقّ الشفاعة عند الله يوم القيامة .

وبهذا اتّضح وهن وبطلان التّهم الموجهة لأبي طالب من جانب . كما تنجلي الأستار والحجب عن الحقيقتين التاليتين :

1- أنّ إيمان أبي طالب كان مرضياً عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وعند أمير المؤمنين (عليه السلام) وأهل البيت ، بل وصحابة رسول الله .

2- أنّ الاتّهامات الموجهة لأبي طالب عارية عن الصحة ، فاقدة للأساس ، وأنّ السبب الرئيسي في وجودها هو الأهداف السياسيّة ، وبتحريك من أمراء الدولتين الأموية والعباسيّة ، حيث كانوا يجهرون بالعداء لعليّ بن أبي طالب (عليه السلام) وذريته الطاهرة (عليهم السلام) .

شبهة حديث الضحاح

وفي هذا المقام نستعرض لك أبرز مصادق استُعمل في إلقاء الشبهة في إيمان أبي طالب بتسقيط شخصية هذا المحامي للرسول الأعظم. و هذه الشبهة مشهورة بحديث الضحاح.

فلينبدأ أولاً ببيان ما ادّعاه البعض في الحديث المذكور، ثمّ نبين بعد التحليل الذي نجريه عليه - وفقاً لما ورد في القرآن الكريم والمسلم من السنّة النبوية الشريفة ، والأدلة العقلية الواضحة - بطلانه و فقدانه للأساس .

تحليل حديث الضحاح

نقل بعض الكتاب والمؤلفين - كالبخاري ومسلم - روايتان عن مثل «سفيان بن سعيد الثوري» ، و «عبد الملك بن عمير» ، و «عبد العزيز بن محمد الدراوردي» و «ليث بن سعد» ، فنسبوا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، والروايتان هما :

أ - فروى مسلم في صحيحه :

«سمعت العباس يقول قلت : يا رسول الله ، إنّ أبا طالب كان يحوطك وينصرك ، فهل نفعه ذلك ؟ قال : نعم ، وجدته في غمرات من النار فأخرجته إلى ضحاح»⁽²⁸⁾ .

ب - وروى البخاري في صحيحه بسنده عن ابن أبي حازم والدراوردي عن يزيد عن عبد الله بن خباب عن أبي سعيد الخدري أنّه سمع رسول الله (صلى الله عليه وآله) وذكر عنده عمّه أبو طالب فقال :

«لعلّه تنفعه شفاعتي يوم القيامة ، فيجعل في ضحاح من النار يبلغ كعبيه ، يغلي منه أمّ دماغه»⁽²⁹⁾ .

فهذا الحديث المفترى وإن كان واضح البطلان ؛ لما تقدّم من الأدلّة الدالّة على إيمان أبي طالب ، لكننا مع ذلك سنتعرض للبحث عن هذا الحديث ، وسنبحث ذلك ضمن نقطتين :

أ - ضعف أسانيده .

ب - مخالفته للكتاب العزيز والسنة النبويّة الشريفة .

(28) صحيح مسلم ، ج 1 ، ص 135 . المستدرک علی الصحیحین ، ج 4 ، ص 581 .

(29) صحيح البخاري ، ج 7 ، ص 202 .

ضعف أسانيد حديث الضحاح

كما اتضح مما سبق أنّ رواة حديث الضحاح هم :
«سفيان بن سعيد الثوري» ، و «عبد الملك بن عمير» ،
و «عبد العزيز بن محمّد الدراوردي» و «ليث بن سعد» .
وسنبحث أحوال هؤلاء الرواة وأقوال الرجاليين من أهل
السنة فيهم ، كي يتبين لك حالهم .

أ - سفيان بن سعيد الثوري :

قال الرجالي المعروف بين أهل السنة أبو عبد الله محمّد بن
أحمد بن عثمان الذهبي :
«كان يدلّس عن الضعفاء»⁽³⁰⁾ .

فهذا الكلام دليل واضح على وجود التدليس في روايات
سفيان ، مما يسقط أحاديثه عن الاعتبار .

ب - عبد الملك بن عمير :

قال الذهبي في شأنه :
«طال عمره ، وساء حفظه . قال أبو حاتم : ليس بحافظ
، تغيّر حفظه . وقال أحمد : ضعيف ، يخلط . وقال ابن معين :

(30) ميزان الاعتدال ، ج 2 ، ص 169 .

مخلّط . وقال ابن خراش : كان شعبة لا يرضاه . وذكر الكوسج عن أحمد : أنه ضعّفه جدّاً»⁽³¹⁾ .

فمن مجموع هذا الكلام يستفاد أنّ عبد الملك بن عمير كان متّصفاً بالصفات التالية :

أ - عدم الحفظ والنسيان .

ب - ضعيف (وهو - في علم الرجال - من لا يمكن الاعتماد على روايته) .

ج - كثير الخطأ .

د - مخلّط (وهو من يخلط الحديث الصحيح بغيره) .

ومن الواضح أنّ كل صفة من هذه الصفات كافية لتضعيف أحاديث هذا الرجل ، مع أنّه اجتمعت فيه تمام هذه الصفات .

عبد العزيز بن محمد الدراوردي :

وصفه علماء الرجال من أهل السنّة بعدم الحفظ ، والنسيان ، وبعدم إمكان الاحتجاج برواياته ؛ قال أحمد بن حنبل :

«إذا حدث من حفظه جاء ببواطيل»⁽³²⁾ .

(31) ميزان الاعتدال ، ج 2 ، ص 660 .

وقال أبو حاتم :

«لا يحتجّ به»⁽³³⁾ .

وقال أبو زرعة :

«سيئ الحفظ»⁽³⁴⁾ .

د - الليث بن سعد :

من خلال مراجعة كتب الرجال لعلماء أهل السنّة يعلم أنّ جميع من اسمه «ليث» من الرواة فهو مجهول أو ضعيف فلا يمكن الاعتماد والاستدلال بأحاديثهم .

وليث بن سعد هو أحد الضعفاء والمتساهلين في الشيوخ

وفي سماع الحديث ، قال يحيى بن معين :

«كان يتساهل في الشيوخ والسماع»⁽³⁵⁾ .

واعتبره النباتي أيضاً من الضعفاء ; حيث ذكره في تذييله

على الكامل والذي يختصّ بذكر الضعفاء⁽³⁶⁾ .

(32) ميزان الاعتدال ، ج 2 ، ص 633 .

(33) المصدر السابق .

(34) المصدر السابق .

(35) ميزان الاعتدال ، ج 3 ، ص 423 .

(36) ميزان الاعتدال ، ج 3 ، ص 423 .

فيعلم مما ذكرناه أنّ رواة حديث الضحاح في غاية الضعف ،
ولا يمكن الاعتماد على روايتهم .

عدم موافقة حديث الضحاح للكتاب والسنة

في هذا الحديث نسب إلى الرسول(صلى الله عليه وآله) أنّه
قال إن أبا طالب «في غمرات من النار» «في ضحاح من
النار يبلغ كعبيه» ، أو رجا بلوغ شفاعته له بقوله : «لعلّه
تنفعه شفاعتي يوم القيامة» ، والحال أنّ القرآن الكريم
والسنة النبوية الشريفة خصّت الشفاعة بالمؤمنين
والمسلمين ، فإذا كان أبو طالب كافراً فكيف يرجو رسول
الله(صلى الله عليه وآله) بلوغ شفاعته إليه وتخفيف عذابه !
وبهذا يتبيّن وهن محتوى هذا الحديث بناء على قول من يرى
كفر أبي طالب .

لاشفاعة للكفار

والآن نستعرض لك الأدلة الدالة على عدم الشفاعة للكافر
سواء من الكتاب أو من السنة ، وهي :

أ - قال تبارك وتعالى في محكم كتابه الكريم :

(وَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ)⁽³⁷⁾ .

ب - نفت السنّة النبوية الشفاعة للكفار ، فروى ابن أبي شيبه في «المصنّف» ، وعمرو بن أبي عاصم في كتاب «السنّة» عن النبيّ (صلى الله عليه وآله) أنّه قال :

«أُعْطِيَتِ الشَّفَاعَةُ ، وَهِيَ نَائِلَةٌ مِنْ لَمْ يَشْرِكْ بِاللَّهِ شَيْئاً»⁽³⁸⁾ .

فعلى هذا الأساس يكون حديث الضحاح - بناء على قول من يعتقد كفر أبي طالب - عارياً عن الصّحة ومخالفاً لكتاب الله وسنّة رسوله (صلى الله عليه وآله) .

النتيجة :

على ضوء ما مر، تبين أنّ حديث الضحاح فاقد للاعتبار سنداً ومتناً ، فلا يمكن الاستدلال به . وبهذا ينهار أقوى دليل

(37) فاطر : 36 .

(38) المصنّف لابن أبي شيبه ، ج 7 ، ص 432 ، ح 104 . كتاب السنّة لعمر بن

أبي عاصم ، ص 359 ، ح 803 .

يعتمد عليه من يخذش بشخصية أبي طالب ، ويشرق بذلك
وجه مؤمن قريش أبي طالب ليقشع ظلام الافتراء والفتنة .
